عروض كتب ودراسات

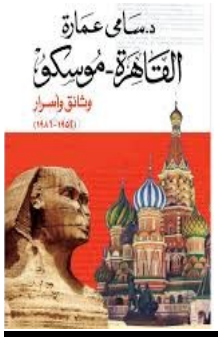

القاهرة – موسكو .. وثائق وأسرار
(١٩٥٢ -١٩٨٦)

عزة فؤاد
المستشار الاعلامى بتونس سابقًا

اسم الكتاب : "القاهرة – موسكو .. وثائق وأسرار (١٩٥٢-١٩٨٦)"

اسم الكاتب : دكتور سامى عمارة

الناشـــــر : دار الشروق

عدد الصفحات : ٢٦٤

نبذة عن الكاتب : د.سامى عمارة أحد أهم خبراء الشئون الروسية امتدت بدايات عمله بين القاهرة وموسكو عقب تخرجه فى كلية الألسن وحتى تحوله إلى عالم الترجمة والصحافة ليقدم إلى المكتبة العربية مايقرب من ٣٠ كتاب فى الثقافة والسياسة والتاريخ، وهو حاصل على درجة الدكتوراة فى اللغة الروسية والترجمة من جامعة لينينجراد الاتحاد السوفيتى.

عرض الكتاب :

- يتناول الكتاب العلاقة بين القاهرة وموسكو فى فترة من أخطر مراحل تاريخ مصر المعاصر، بداية من ثورة يوليو ١٩٥٢ وعهد الرئيس جمال عبد الناصر والزعيم السوفيتى خروشوف، مروراً بعهد الرئيس أنور السادات وقطع العلاقات بين البلدين عقب طرد الخبراء السوفيت قبيل حرب أكتوبر وانتهاء بعهد الرئيس مبارك واستئناف العلاقات مع موسكو، ويتضمن صوراً ووثائق وزارة الخارجية

السوفيتية، كما يعتمد الكتاب على مراجع من ارشيف الخارجية الروسية ومراسلات السفراء فى كلا البلدين ومذكرات وكتب ووثائق ومجلات وصحف، وقائمة باللقاءات الصحفية والاحاديث الشخصية التى أجراها الكاتب فى هذا الصدد مع رؤساء سابقين للاتحاد السوفيتى ورؤساء حكومات ورئيس مجلس الدوما الأسبق ووزراء خارجية ومبعوثين رسميين.

- يتناول الكاتب فى الفصل الأول الذى حمل عنوان "كيف اعتبر ستالين ثورة يوليو ١٩٥٢ "انقلابا عسكريا"؟ موقف الاتحاد السوفيتى وقياداته التاريخية من "ثورة يوليو١٩٥٢"ودور الشيوعيين المصريين كتصفية لحسابات شخصية بالتعاون مع سفير الاتحاد السوفيتى فى القاهرة فى "اعتبارها انقلابا"، وبعد وفاة ستالين فى ١٩٥٣وتولى خروشوف السلطة أعادت موسكو النظر فى الكثير من توجهاتها وهو ما كان قد استوجب استباقه بإجراء العديد من التغييرات التى طالت عدداً من القيادات المحورية بما فى ذلك فى وزارة الخارجية السوفيتية وفى إطار تغيير كوادر عدد من السفارات فى بعض العواصم المهمة ومنها القاهرة . وجاءت الاحتفالات بذكرى ثورة يوليو والعرض العسكرى الذى اقيم بهذة المناسبة لتكون لحظة فارقة فى تاريخ العلاقات وتغيير الصورة النمطية عن شخصية عبد الناصر الذى استند القادة السوفيت فى الحكم عليه وعلى ثورة يوليو إلى أحكام ماركسية جامدة، حيث ما إن اعتلى ناصر مكانه ليخطب فى الجماهير المحتشدة حتى اشرأبت الأعناق وراح الجميع يتابعونه بالكثير من الشغف والاهتمام. ووجد المبعوث السوفيتى الذى حضر العرض فى عبد الناصر ضالته وأدرك انه أمام زعيم من طراز نادر خاص وعاد إلى موسكو بصورة وانطباعات مغايرة سرعان ماتركت تأثيرها فى نفوس الكثيرين من أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعى السوفيتى الذى عقد جلسة طارئة لبحث آفاق العلاقات مع مصر، ولم يمضِ من الزمن الكثير حتى كان الجانبان المصرى والروسى قطعا شوطا "معتبرا" على طريق "التفاهم المشترك" الذى أكدت الأحداث التالية حقيقة أبعاده والمدى الذى

يمكن أن يحدد لاحقا مسار البلدين .

- وحول صفقة الأسلحة التشيكية يقول د. بغض النظر عن حقيقة تباين الرؤى والحكايات تجاه البداية الحقيقية لاتصالات الجانبين حول "صفقة الأسلحة التشيكية" فإن الواقع يقول إن هذه الصفقة تعد أول صفقة سلاح بين البلدين وكانت البداية العملية للتقارب المصرى السوفيتى .
- وعن تأميم قناة السويس وإنذار خروشوف جاء عنوان "الفصل الثانى" الذى أوضح أن الحديث عن تأميم قناة السويس لم يكن مرتبطاً برفض البنك الدولى تمويل بناء السد العالى بما وضعه من عراقيل بقدر ماكان إدراكاً متقدماً لمغبة ما كانت تستهدفه الدوائر الغربية السياسية منها والمالية عمليا من "تكبيل للإرادة المصرية" وإرغام القيادة السياسية على الانصياع لكل ما تفرضه من شروط مجحفة.
- ويشير المؤلف إلى أن موسكو كانت على علم بما كانت تضمره البلدان الغربية من مخططات استهدفت المماطلة فى تسليم القناة فى عام ١٩٦٦ مما يدحض كل الاتهامات التى كالها البعض لعبد الناصر بحجة أنه أوى بالبلاد إلى التهلكة حين أعلن تأميم القناة فى عام ١٩٥٦ وكان من الممكن الانتظار لعشر سنوات فقط كى تتسلم مصر القناة دون التورط فى معركة خاسرة.
- ولم يكتف وزير خارجية الاتحاد السوفيتى بفضح مخططات عدم تسليم القناة والتشكيك فى حق مصر فى تأميم هذا المجرى الملاحى بل تحول إلى فضح ماكانت تستهدفه الولايات المتحدة بمشروع قرارها الذى تقدمت به إلى مؤتمر لندن والذى يرمى إلى حرمان مصر من حقوق السيادة وإقامة نظام استعمارى فى مصر من خلال تشكيل إدارة أجنبية لقناة السويس ستكون معها "دولة داخل الدولة"، ولذا لم يكن غريبا أن ينجح الاتحاد السوفيتى إلى تأييد مشروع القرار الى تقدمت به الهند فى مؤتمر لندن حول الحلول الأنسب لأزمة تأميم قناة السويس والى يستند إلى مبدأ التوفيق الصائب بين مصالح مصر كدولة ذات

سيادة ومصالح الدول المستفيدة من قناة السويس وهو ما يعنى عمليا الاعتراف بشرعية تأميم الحكومة المصرية لقناة السويس.

- وحمل الفصل الثالث عنوان : أول اتصال بين ناصر وخروشوف واشار فيه الكاتب إلى أول زيارة للرئيس عبد الناصر لموسكو وقال إن الجدل يظل يحتدم حول حقيقة ملابسات ومقدمات أول زيارة يقوم بها زعيم عربى للعاصمة السوفيتية فى أبريل ١٩٥٨ والتى تأجلت أكثر من مرة بعد أن كان مقررا القيام بها قبل ذلك التاريخ بكثير وخاصة فى ١٢ أغسطس ١٩٥٦ والتى لم يتسنى القيام بها بسبب الظروف التى ارتبطت بما تلا تأميم قناة السويس من احداث وتطورات انتهت بوقوع العدوان الثلاثى فى اكتوبر ١٩٥٦ .
- ونقل المؤلف عن المراقبين السوفييت قولهم إن نتائج هذة الزيارة التى تعد الأولى من نوعها فى تاريخ البلدين لزعيم مصرى عربى لموسكو فاقت كل التوقعات واعتبرها البعض إذانا ببدء مرحلة نوعية جدية فى تاريخ العلاقات ليس فقط بين الاتحاد السوفيتى ومصر بل مع العالم العربى ومنطقة الشرق الاوسط والقارة الافريقية أيضا.

الفصل الرابع : قصة الخلافات بين خروشوف وعبد الناصر

- لم يمض من الزمن الكثير حتى تسارعت الاحداث وتعقدت وتشابكت أطرافها مما أسفرت عن سقوط أطرافها الرئيسين فى لجةِ الملاسنات اللفظية التى سرعان ما دفعت بالعلاقات بين البلدين إلى مجرى مغاير ولا سيما بعد إتمام الوحدة بين مصر وسوريا وما أعقب ذلك من حملات مضادة من جانب الشيوعيين السوريين، وكذلك الرئيس عبد الكريم قاسم والشيوعيين العراقيين، وجنوح القيادة الحزبية السوفيتية صوب تبنى مثل هذة التوجهات وتأييدها لاولئك الذين ناصبوا عبد الناصر العداء فى مواجهة القوميين الذين كانوا يحظون بتأييد عبد الناصر فضلا عن بدء حملة اعتقالات الشيوعيين المصريين فى عام ١٩٥٨ .
- وقامت دنيا الشيوعيين فى كل مكان واهتزت أرجاء المنطقة العربية وما حولها

فى الوقت الذى راح فيه كثيرون يصبون المزيد من الزيت على النار مما زاد من حدة التوتر وتلبدت الغيوم فى سماء العلاقات المصرية/السوفيتية واحتدم الخلاف بين عبد الناصر وخروشوف .

الفصل الخامس : رسالة عبد الناصر السرية و"انحسار الأزمة"

- فى هذا الفصل استعرض الكاتب الجهود المبذولة ومحاولات رأب الصدع بين البلدين وتبادلا الزعيمان ناصر وخروشوف الرسائل المتضمنة ردودا ايجابية بشأن استعداد الاتحاد السوفيتى فى بناء السد العالى، وهكذا تحركت المياة الراكدة بفضل توفر الإرادة السياسية لدى الجانبين انطلاقا من مبادئ المصالحة المتبادلة والاتفاق على ثوابت راسخة للعلاقات المتكافئة .
- ومضى قطار العلاقات يواصل مسيرته من خلال الجديد والمثمر من الاتصالات والزيارات المتبادلة على أعلى مستوى ومنها زيارات المشير عبد الحكيم عامر إلى الاتحاد السوفيتى، وعند هذا الحد نجح الجانبان صوب التهدئة إدراكا من جانب كل منهما لمغبة المضى بعيدا عن طريق "مواجهة إيدلوجية" لا طائل من ورائها .

الفصل السادس : يونيو ١٩٦٧.. المقدمات والنتائج

- القى خلاله الكاتب الضوء على بوادر تلك الأزمة ومراحل تصاعدها وحتى بلوغها ذروة الانفجار فى الخامس من يونيو وما بعدها مستعينا بوثائق ذات الصلة بحرب ١٩٦٧، ومن ارشيف وزارة الخارجية الروسية ومنها وقائع اللقاء الذى تم بين وزير الخارجية السوفيتية وأنور السادات رئيس مجلس الأمة آنذاك ووثائق حول لقاءات السفير السوفيتى مع الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر وآخرين، وأشارت الوثائق إلى الموقف المتوتر فى المنطقة، وتأييد الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة لسوريا، وعقد مصرلإتفاقة الدفاع المشترك مع سوريا، وكذلك تصاعد الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية، ومطالبات مصر بإجلاء قوات الطوارئ من مواقعها فى غزة وسيناء.

- كما عاد للحديث عن التعاون بين موسكو والقاهرة والذى لم يكن ليقتصر على تقديم المعونة والمشورة والإمداد بالأسلحة والمعدات والتدريب والخبرات بل ايضا بالمعلومات السرية التى تندرج تحت بند "معلومات المخابرات" تتضمن تفاصيل وتحذيرات حول مايقال بشأن الحشود الإسرائيلية على الحدود مع سريا التى جعلت ناصر يقر بتوفر المعلومات التى تقول بأن إسرائيل تدفع عى وجه السرعة بقواتها إلى المناطق الشمالية وإلى الحدود الجنوبية، وان حكومة (ج ع م) أبلغت سوريا رسميا فى ١٤ مايو بإستعداد (ج ع م) لمحاربة اسرائيل فى حال اعتدائها ضد سوريا.

الفصل السابع: أسرار اتصالات موسكو وناصر قبيل الخامس من يونيو

- فى السياق نفسه، تناول هذا الفصل كافة الاتصالات على مختلف المستويات وتسارع الخطى سعيا وراء ايقاف آلة الحرب التى باتت تعمل وفق برنامج غير واضح المعالم لتنفيذ غاية مجهولة وذلك عبر نصوص الكثير من الوثائق ومحاضر الجلسات الفارقة تحديدا التى كان الرئيس عبد الناصر أحد أطرافها الرئيسية بما فى ذلك ما يتعلق بقرار التنحى بعد هزيمة يونيو، وما اعقب ذلك من اتصالات مع القيادة السوفيتية التى ناشدته التراجع عن قراره.

الفصل الثامن: ناصر "يشكو عامر للسوفيت" وموسكو تطلب قاعدة عسكرية

- هزيمة يونيو وتداعياتها، حيث عرض الفصل الثامن لعدة موضوعات منها ما طرأ من لحظات فارقة مع رفيق العمر عبد الحكيم عامر بعد الهزيمة وبعد محاولة انقلاب فاشلة دفعت الرئيس عبد الناصر إلى شكواه "الدامية" للسفير السوفيتى مما وصفه بـ"خيانة الأصدقاء" ولعل ذلك يمكن أن يفسر ما اتخذه من قرارت لاحقة وفى مقدمتها قراره التاريخى حول فك الارتبط بين المؤسسة العسكرية والدولى المدنية.
- وكذلك إصرار ناصر على إعادة بناء القوات المسلحة من جديد، ومطالبته بضرورة فرض الانضباط فى كل أفرع القوات المسلحة، ورغبته فى أن تتحول

سيناء إلى جهنم تحت أقدام اليهود بما يرغمهم على الانسحاب، وبداية حروب الاستنزاف وتدمير المدمرة إيلات، ورفض ناصر لأى مساومات حول حرية الملاحة فى قناة السويس، وربط ذلك بضرورة حل قضية اللاجئين الفلسطينيين وعدم الخوض فى مثل تلك المساومات مادامت الارض العربية تحت الاحتلال الإسرائيلي.

- وتناول الكاتب ايضا موقف الولايات المتحدة من الأحداث ونقل عن الرئيس عبد الناصر "أنه لاتغيير فى مواقفها بل تفرض شروطا أقرب إلى الاستسلام"، وكذلك الاحداث فى اليمن وشكوى ناصر من الرئيس اليمنى عبد الله السلال واتهامه بعرقلة سحب القوات المصرية من اليمن.

الفصل التاسع: طرد الخبراء السوفييت "لعبة الشيطان" ومذكرات جنرال "كى جى بى"

- عرض الفصل لعدد من الوقائع التى تميط اللثام عن خفايا تدهور العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى فى أعقاب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر نتيجة ما اتخذه الرئيس السادات من خطوات ساهمت فى تعميق الفرقة التى تطورت من طرد الخبراء السوفييت فى عام١٩٧٢، التى تعد الجرح الذى لم يندمل بعد فى تاريخ العلاقات بين البلدين، وحتى طرد السفير الروسى قبل اغتياله فى أكتوبر ١٩٨١ بأشهر معدودات مرورا بحرب اكتوبر ١٩٧٣، وافشاء الرئيس السادات لأحد أهم أسرار حرب أكتوبر فى رسالة بعث بها إلى هنرى كيسنجر مستشار الامن القومى الأمريكى فى السابع من اكتوبر وهو ماسارع كيسنجر بإبلاغه لإسرائيل فى نفس اليوم حسب قول المؤلف .
- وفى موضع آخر أوضح المؤلف انه على الرغم من الأجواء المأساوية والغيوم التى خيمت على العلاقات المصرية السوفيتية فى اعقاب قرار طرد الخبراء السوفييت، فقد تواصلت العلاقات وإن تباطأت وتيرتها وتراجعت حميمتها وتمسكت موسكو باستمرار "الخط العام " للعلاقة مع مصر وعدم الالتفات إلى "أدوار شخصيات بعينها".

الفصل العاشر : مبارك .. استئناف العلاقات مع موسكو

- عرض الكتاب للمرحلة الاخيرة من الفترة الزمنية التى تناولها المؤلف وهى تولى مبارك والعودة لاستئناف ما انقطع من علاقات دبلوماسية بين البلدين مع بدايات حكمه وما واكب ذلك من اتصالات ومداولات منها ماكان يتصل بالموقف من تصفية القضايا العالقة وفى مقدمتها الديون العسكرية التى هدد مبارك بعدم سدادها، وما نجم عن ذلك من ردود افعال حددت ملامح ومسار العلاقات بين البلدين فى تاريخها المعاصر .

وأخيراً تضمن الكتاب عدداً من صور وثائق وزارة الخارجية السوفيتية مختومة بـ"حظر النشر" و"سرى للغاية" و "سرى" و"سرى.. نسخة واحدة"، وعدداً من المراجع منها أرشيف الخارجية السوفيتية ومراسلات ومذكرات وكتب ومجلات وصحف، بالإضافة إلى اللقاءات الصحفية والأحاديث مع شخصيات بارزة من الاتحاد السوفيتى وكذلك عدد من أبرز ممثلى مؤسسات صناعة القرار والمعاهد العلمية المتخصصة فى الاتحاد السوفيتى وروسيا .

وبعد العرض المبسط لكتاب "القاهرة – موسكو .. وثائق وأسرار (١٩٥٢-١٩٨٦)" للدكتور سامى عمارة، نجد ان هذا الكتاب يعد رصداً للبدايات، واستعراض للحكايات، وتسجيل لـ "محاضر جلسات" طالما حددت ملامح الكثير من جوانب العلاقات الثنائية والدولية، ومنها مايميط اللثام ليس فقط عن الكثير من "تعرجات" الصداقة المصرية الروسية بل ايضا عن مكنون مواقف شخصية اسفرت فى حينها عن قرارات مصيرية حددت مسار علاقات الرئيس جمال عبد الناصر مع الزعيم السوفيتى خروشوف، وكذلك مع رفيق العمر عبد الحكيم عامر، فضلا عن فك الارتباط بين المؤسسة العسكرية والدولة المدنية فى أعقاب "نكسة ١٩٦٧" وما تلا ذلك عقب رحيله من أحداث شملت قرارات الرئيس السادات بطرد الخبراء السوفييت ومحاولا مبارك إعادة العلاقات مرة أخرى.